بمناسبة مرور مئة عام على رواية دستويفسكي

« الجريمة والعقاب »

بقلم عماد حاتم

ـ ١ ـ

في شباط سنة ١٨٦٦ كتب دستويفسكي الى صديقه فرانجيل قائلا : « منذ اسبوعين صدر الجزء الاول من روايتي في عدد كانون الثاني من مجلة « روسكي فيستنيك » . اسم الرواية « الجريمة والعقاب » . ولقد سمعت كثيراً من الاراء المتحمسة حول هذه الرواية ـ اراء جريئة وطريفة ! » .

فما هي هذه الرواية ، وما الذي اثار حولها هذه الاراء المتحمسة؟

في رسالة الى المحرر كاتكوف يرسم دستويفسكي صورة سريعة لروايته التي صدرت منذ مائة عام . فلنسمع بعض ما جاء فيها : « انها ـ اي الرواية ـ تقرير نفسي عن احدى الجرائم ... شاب مفصول من الجامعة ... يعيش في احط درجات الفقر ، ويقرر بفعل اهتزازه الفكري ، وذبذبة مفاهيمه ، وتحت ضغط بعض الافكار الغريبة«الناقصة» التي تملأ الهواء ، ان يتخلص من مصيره دفعة واحدة ، فيصمم ان يقتل عجوزا ... تدين مالا بالفائدة ... ويتأتى له تنفيذ مأربه بسهولة ونجاح ... لكنه يضطر الى افشاء سره ... وذلك لكي يقترب من البشر ولو كان ثمن ذلك ان يموت في عذاب الاشغال الشاقة ، فاحساسه بالانغلاق ، والانفصال عن الانسانية يرهقه » .

يرى الكاتب ان روايته تقرير نفسي عن جريمة من الجرائم،فيعرض فكرته بكل قوة وعبقرية ، لكن ما قدمه الاديب الروسي كان اوسع واعمق بكثير مما ظنه تقريرا مجردا . لقد كانت « الجريمة والعقاب » سببا لخلود دستويفسكي ، ونحن نرى سبب خلوده فيها لا نجاحه في ايراد ذلك التقرير فحسب، بل وفيما عرضه من قضايا نفسية واجتماعية اخرى . فقد شملت الراية جميع المشاكل الرئيسية التي عاصرت الاديب ، وليس بطلها الا جزءا من ذلك العالم الحي المتكامل الذي نعيشه في تلك الموسوعة الهائلة ، وما جريمة قتل العجوز المرابية الا واحدة من تلك الجرائم الكثيرة التي نلتقي بها في صفحات الرواية ، والتي لا تقل هولا عن قتل انسان .

كانت الجريمة ، واسبابها ، وانتشارها من اهم السمات المميزة لادب دستويفسكي بدءا من روايته هذه « الجريمة والعقاب » . فالمحور الاساسي لكل من « الابله » و « المراهق » و « الاخوة كرامازوف » هو الجريمة ، وبالتالي العقاب . كما ان رواية « الابالسة » مشحونة بتسع جرائم قتل وانتحار تتم فيها في غضون ايام معدودة .

لا بد وان نشير هنا الى ان الجريمة قد عرضت قبل دستويفسكي في الادب الروسي والاجنبي كنتيجة للصراع بين السماء والجحيم احيانا كما في الروايات الفوطية ، واحيانا نتيجة ساذجة لمغامرات مصطنعة. وجاء بلزاك ، ابو الواقعية ، فتقدم بالجريمة خطوات الى الامام فكانت في رواياته نتيجة منطقية لمسير الحياة وحدثا من احداثها العابرة .

وعلى الرغم مما يعرض في روايات دستويفسكي من جرائم ، فانها لا تعرض غيبيا كنتيجة للصراع بين السماء والجحيم ، ولا هي قضية رومانتيكية ساذجة ، كما انها اعمق من مجرد كونها حدثا من احداث الحياة اليومية ، وابعد ما تكون عما اصطلح على تسميته حديثا بالروايات البوليسية . كان دستويفسكي ينظر الى الجريمة كانعكاس واضح وبارز للتناقضات القائمة في حياة ووعي الفئات الاجتماعية العليا والطبقة المثقفة بالذات . (فالقتلة في جميع قصصه اشخاص من المثقفين او ممن يحملون فلسفات عميقة في الحياة ، وهذا ما يوصلنا الى تعبير « القاتل الفيلسوف » لديه) . ولعل هذا ما يفسر اهتمام الروائي الروسي باضبارات المحاكم الجنائية المعاصرة ، وانكبابه المحموم على ما كانت تعرضه المجلات والجرائد حول ذلك . ويفسر كذلك تلك المحاولات الجبارة التي كان يقوم بها لتفسير الجريمة وتعميق اسبابها .

ومن ناحية اخرى فقد اهتم الاديب ، في عرضه للجريمة ـ شأنه كذلك في تناول النواحي الاخرى من الحياة ـ لا بالنواحي السطحية ، بل بدراسة الطبيعة البشرية ، وبشكل خاص بدراسة نفسية المجرم المعقدة . فهذه النظرة النافذة الى الاعماق هي ما يميز الرواية. اذ بينما ينصب اهتمام مؤلف القصص البوليسية مثلا على الصراع القائم بين المجرم وبين من يحاول كشف جريمته « كالشرطة والمعقبين » نرى ان صراع المجرم مع القوانين المدنية ثانوي الاهمية بالنسبة لدستويفسكي وهو يعطي مكانه للصراع الباطني الاخلاقي الذي يعتمل في نفسية المجرم.

واخيرا فقد اضاف دستويفسكي الى الجريمة حكمه الاخير عندما وضعنا امام وصيته المسيحية الرائعة والتي تحتل مكانها بين الوصايا العشر ـ « لا تقتل ! » .

ـ ٢ ـ

تعتبر رواية « الجريمة والعقاب » من اعظم ما كتبه دستويفسكي، وهي تحتل قمة شامخة مما قدمه في ميدان الادب الفني . كما تمثل بالنسبة له مرحلة جديدة في تناول الحياة الروسية ـ مرحلة الانقطاع النهائي عن موضوعية المدرسة الطبيعية المجردة وبدء محاولته اعطاء الحياة معنى وتفسيرا جديدين . كما ان فلسفته المسيحية ـ والتي ستتردد فيما بعد في رواياته التالية باشكال مختلفة ـ ونظرته الجديدة الى العالم بعد عودته من « بيت الموتى » ـ كل هذا يجد انعكاسه الصريح والكامل في هذه الرواية .

اما في ميدان دراسة الطبيعة البشرية والعالم الداخلي للانسان، والتي كانت من اهم المشاغل التي ظلت تلح على دستويفسكي طيلة حياته فجعلت رواياته امثلة حية على هذا الاضطراب الفكري،فالجريمة والعقاب صورة حية وجديدة عن هذه الدراسات وتجربة رائعة وموفقة في هذا السبيل وثمرة ناضجة لما قدمته له حياته الفنية بالاحداث والتجارب.

فالرواية تحكي جريمة انسان مثقف ، وقد كانت حياة الاديب في سيبيريا بين القتلة والمجرمين من اول مصادر هذه الرواية : اذ قدمت له مفهوما جديدا ومختلفا للشخصية الانسانية ، وفتحت امامه افاقا جديدة اثارت اهتمامه ودهشته . فهو يرى ذلك العالم الداخلي المتكامل الذي يعيشه سفاكو الدماء وتدهشه ارادتهم الجبارة القاهرة . يكفي ان نقرأ بعض ما كتبه في « مذكرات من بيت الموتى » عن ارلوف ـ احد هؤلاء القتلة ـ لنفهم نظرة الاديب الجديدة الى الجريمة كمشكلة فلسفية اخلاقية : « كان جليا ان لهذا الانسان كامل القدرة على التصرف بنفسه بشكل لا حد له . كان يزدري اي لون من الوان العذاب او العقاب ولا يرهب شيئا على وجه الارض » ، ففكرة البطل تنطلق لدى الاديب من مثل هذا القاتل الذي لا يوقفه امام جريمته اي وازع نفسي او اجتماعي.

الا ان هذا لا يكفي . فالمجرم في الرواية انسان مثقف يحمل فكرة وليس عاديا ممن تفص بهم السجون . واذا ما عدنا الى حياة الاديب ومؤلفاته وجدنا مثل هذا البطل انسانا حيا تعرف عليه الكاتب في مطالعاته . ففي احدى المقالات اعاد دستويفسكي الى الاذهان قضية بيير

فرانسوا لاسينيير ، ذلك الشاب الفرنسي الذي حاول فجر حياته دراسة القانون . ثم صرع الخطيب الفرنسي الشهير بينجامين كونستان في مبارزة سنة ١٨٢٩ فكانت هذه اول خطوة اغوته لان يصبح في عداد المشاهير . فحاول بعد خروجه من السجن ان يعمل في حقل الادب لكنه فشل ، ثم الجأته الحاجة وحب الجاه الى مرافقة اللصوص وارتكب اخيرا جريمة قتل في سبيل المال فحكم بالاعدام. لكن ذلك لم يمنعه من ان يصدر من السجن ديوان اشعاره الاول وان يعقد هناك مؤتمرا للادباء والاطباء والمحامين فيبهرهم بذكائه ونير افكاره . كتب دستويفسكي سنة ١٨٦١ في العدد الاول من مجلته « فريميا » قائلا : ـ « القضية هنا تتناول شخصية انسان ، شخصية اسطورية غامضة ، رهيبة ومثيرة . فالغرائز المنحطة وضآلة الانسان اذ يصبح فقيرا هي التي جعلته مجرما وجد في نفسه الجرأة لان يكون ضحية عصره ... .

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ما عاناه دستويفسكي نفسه فترة كتابته روايته هذه من ازمات عنيفة . لقد توفي اخوه ميخائيل سنة ١٨٦٣ مخلفا وراءه اسرة كبيرة كان على الاديب ان يعولها ، فلجأ الى الدائنين والمرابين الذين اشتد الحاحهم عليه ، الى ان كان فاستدان مبلغ عشرة الاف روبل من عمته العجوز كومانينا . فكانت حياته هنا صورة عن حياة بطله في هذه الفترة : اذ يرى امامه حيوات ومواهب ممثلة في ابناء اخيه ، مواهب تخنق في مهدها بسبب الفقر ، وعمة خرقاء واسعة الثراء توصي بكميات هائلة من المال لتزيين الكنائس ، ولكي يصلى من اجلها بعد موتها ـ صورة مطابقة تماما لما نراه في حالة راسكولنيكوف ومعارفه والمرابية الينا ايفانوفنا .

وتتخذ هذه الازمة المالية اعنف شكل لها عند اول شروعه بكتابة الرواية . ذلك عندما سافر الى الخارج سنة ١٨٦٥ وخسر في مدينة فيسبادن على مائدة القمار كل ما يملكه حتى ساعة جيبه . كان الاديب في بطرسبرج يأمل ولو براحة نسبية من الحاح الدائنين ، اما هنا فقد اصبح مهددا بالجوع الجسدي المرير الحق . ورسائله من فيسبادن تشير الى ذلك بصريح العبارة : « اخبروني عند الصباح الباكر بان الاوامر قد جاءتهم في الفندق بمنعي الطعام والشاي والقهوة » وفي رسالة اخرى : « استمر على عدم تناول الطعام . ها هو اليوم الثالث وانا اتبلغ بشاي المساء والصباح . العجيب انني لا احس بالجوع ... لكن ما يؤلمني هو انهم يلحون في مضايقتي ، واحيانا يحرمونني من الشمعة في المساء ... » . ما اشبه هذه الحياة بحياة راسكولنيكوف قبيل اقترافه الجريمة . ان مشكلة الجوع لم تلح على دستويفسكي من قبل بمثل هذه الحدة . وهو فيما بعد يشير الى هذه الفترة كفترة حاسمة لولادة « الجريمة والعقاب » .

ـ ٣ ـ

لقد كان الشكل الاخير « الجريمة والعقاب » في مخيلة الكاتب مزجا لقصة عن انسان متفوق مع قصة اخرى اسماها « السكارى » كان قد كتب القسم الاعظم منها وقدمه الى كرايفسكي رئيس تحرير مجلة اتيتشستفنيي زابيسكي ، وكانت ـ حسبما يذكر دستويفسكي في احدى رسائله ـ تتحدث عن المأساة الاليمة التي يعيشها اطفال السكارى المدمنين على الخمر ، ومنها تنبعث اللوحة الجماعية لاسرة مارميلادوف ومصيرها الفاجع في « الجريمة والعقاب » . لكن القصة لم تر النور بسبب الضائقة المالية التي كانت مجلة كرايفسكي تعانيها . ولقد تمكن دستويفسكي من حبك القصتين وتقديمهما بطريقة عبقرية زادت الرواية قوة ورونقا من الناحية الفنية وفتحت امام الاديب افاقا حياتية جديدة مكنته من تصوير الحياة بشكل اغنى واكمل. ففكرة جريمة راسكولنيكوف تظل هي الاساس الغالب حتى بعد انصهار القصتين معا ، اذ تغيرت فكرة « السكارى » لدى دستويفسكي بعد ان دخلت في « قصة عن شاب يقتل عجوزا ... » ولم تعد قضية منفصلة مستقلة اذ بدا السكير مارميلادوف واحدا من الشخصيات التي سحقتها الحياة فاتصل مصيره عضويا بمصير راسكولنيكوف ـ هذا الاتصال الذي لم يقف عند حد

دستويفسكي

***

اطلاع راسكولنيكوف على مصير اسرة هذا المسكين بل في رفض البطل لهذا المصير الفاجع مما جعله يتردد طويلا قبل ان يقرر الندم على اجرامه بحق مجتمع يرضى عن وجود مثل هذا المصير . فبانضمام القصة هذه يتسع الميدان الاجتماعي للرواية اتساعا كبيرا بخروجه عن الفكرة المحدودة التي عرضها الاديب في بداية فكرته . وبالاضافة الى ذلك فان مصير كل شخصية من آل مارميلادوف ، سواء الاب ، ام الاطفال ، ام سونيا ، ام يكاترينا ايفانوفنا ، يرفد الرواية بخاصية من اهم خصائصها وهي المأساوية والعمق ، ويجرد الحياة من اغلفتها فيظهرها على حقيقتها القاسية في هذا العالم الفاجع .

اما مسرح الجريمة فهو العالم الكئيب الذي نكاد نلتقي به في كل رواية لدستويفسكي والذي يكاد يكون احدى مميزات ادبه الخاصة ـ هذا العالم الطابع القاتم حيث تنعدم الصور المشرقة وحيث يشعر الانسان بأن شيئا ما ثقيلا يجتمع فيه ثقل العالم المادي الى ثقل العالم الداخلي النفسي ، هذا العالم الذي يتمثل هنا في بطرسبرج ـ المدينة « الشريرة ، المضجرة ، الشنيعة » كما يسميها الاديب ، حيث يتجرد الانسان من اخر ملامح انسانيته ، وحيث تصادفنا الاجواء المشبعة بابخرة الحانات وروائح الدم وشتائم السكارى ونجيع المصدورين . في هذا الجو اللزج الكريه حيث تنعكس الابنية الضخمة الضيقة المسالك في مياه النهر السوداء الداكنة ، وحيث ينتشر الضباب والليل بكل ثقله في هذا الجو الذي يشير الى ثقل الحالة النفسية لدى كل من شخصيات الرواية نتميز شبح شاب يسير ممزق الثياب ، بليد الخطى ، ليدخل منزلا ، يخيم عليه ظلام القبور ، فيهوى بفأسه على رأس امرأة عجوز تخر صريعة لتتبعها اختها .. ويخرج حاملا ثروة يظن ان فيها

خلاصه . ذلك هو بطل القصة ـ راديون راسكولنيكوف ، طالب كلية الحقوق بجامعة بطرسبرج الامبراطورية .

ـ ٤ ـ

يحشد دستويفسكي في روايته عددا كبيرا من الاحداث والشخصيات التي تترابط فيما بينها حياتيا ومصيريا فتشكل وحدة فنية فريدة حتى لنعجز عن فهم اي من هذه الشخصيات او الاحداث منفصلا عن سواه او عن المجرى العام للرواية . كما ترتبط كل من هذه الشخصيات ارتباطا عضويا بالارض الروسية ، وبحياتها الفكرية والاجتماعية . ويوزع دستويفسكي فلسفته على هذه الشخصيات بطريقة خاصة وبارعة .

فراسكولينكوف في الرواية نموذج حي لتلك الشبيبة الروسية المعاصرة لدستويفسكي والتي عاشت اعنف فترة في تاريخ روسيا : عندما كان القديم يحتضر تاركا مكانه لحاضر متفسخ وقاس ، والمستقبل مجهول لا تسبر اغواره . ان البطل مثال لتلك الشبيبة العاطلة البائسة ، التي تحس في داخلها قوة قهارة لا تدري اين تذهب بها ، وتعي في الوقت ذاته قدراتها وطاقاتها وتفوقها ، هذه الشبيبة التي يوصلها فراغها ومحيطها الثقيل الى اجواء من الفردية الضيقة حيث يرى الانسان نفسه عملاقا ويرى ما حوله قشات راعشة يجب ان تسحق، هذه الفردية التي تتلمس صلاحها وتبدو لها قواها ضخمة في مجتمع يموج بالفساد فتحاول تحطيم كل القيود طامحة الى حرية فوضوية لا محدودة . وهو بالنسبة لدستويفسكي خصم فكري يحمل فلسفة معادية للاعراف وللمسيحية ، وهو الابن الضال الذي يجب ان يعود الى حظيرة الايمان .

اما سفيدريجايلوف فهو الاقطاعي الغني الذي افسده غناه فاباح لنفسه ان تقترف اي شيء ما دام يملك ثمنا لاي شيء . انه انانيي وشهواني وفاجر وبارد الحس ولا يثيره اي لون من الوان الموبقات . لكن ما يثير الاهتمام هو محاولة الكاتب اثارة تغيير ما في نفسية هذا الافاك تحت تأثير عاطفة صادقة ، واظهاره قادرا حتى على الغيرية والتخلي عن الذات تحت تأثير الحب الصادق اذ احتل لاول مرة قلبه . ومن الناحية الفلسفية يسير سفيدريجايلوف هذا في الطريق المعاكس لطريق راسكولنيكوف . ففي الوقت الذي يحاول فيه الاخير ان يسمو بعد جريمته فيكفر ويعود ، نرى سفيدريجايلوف يسدد الى رأسه الرصاص بعد فقدانه كل شيء . في هذه الشخصية تتفتح الملامح الشريرة المجردة التي ستتطور فيما بعد في روايات دستويفسكي فنلتقي بها في شخصية راجوجين اولا ـ ذلك الذي يمثل الشر مناقضا لما يمثله الامير ميشكين ـ ثم نراها مجسمة مضخمة في شخصية ستافروجين وفيودور كرامازوف الاب . ان هذه الشخصية مرددة فيمن تلاها من ابطال دستويفسكي السلبيين ، تعني بالنسبة للروائي الروسي البؤرة العميقة التي يمكن للانسان ان يتردى اليها عندما ينعدم لديه اي اساس او وازع اخلاقي او ديني .

وتتصل شخصية ماريلادوف اتصالا وثيقا بكثير من المقالات التي تناول دستويفسكي فيها مشكلة السكر والدعارة . فقد عرفت صفحات مجلتيه « فريميا » و « ايبوخا » كثيرا من المقالات حول الصلة الفاجعة بين الادمان على الخمرة وبين الدعارة والعطالة والتسول وتشرد الاطفال وهلاك اسر كاملة . ومن هنا تنطلق الخطوط الرئيسية التي تحدد مصير اسرة مارميلادوف : السل والبطاقة الصفراء والتسريح من العمل والفقر الاسود والاطفال الهزيلون ، بالاضافة الى صورة ابوين يهلكان على فارعة الطريق . لقد وصل دستويفسكي بمشكلة السكر هذه الى اغوار المأساة الحقة فقلما نجد بين صفحات الادب العالمي فيما سبقه ، والذي اعتاد على تناول مشكلة السكر من ناحيتها الفكهة المرحة ، ما يماثل ما قدمه دستويفسكي في مصير هذه الاسرة الشقية .

وتزداد المأساة بعدا في تصوير الكاتب لشخصية سونيا . فقد احاطها بالاسباب الكبرى للدعارة : ادمان الوالد على الخمرة ، والفقر المدقع والزواج الثاني للاب الى هزال الثقافة وجسد فتي تطارده شهوات الاخرين ، هذه الاسباب التي تحدد مجرى حياة سونيا . الا ان دستويفسكي اشار في مصير بطلته ، الى المنابع العميقة من الحب الغيري الخالص ، وجعلنا نخشع لمقدرتها الهائلة على التفاني في سبيل الاخرين . فهي دوما تعرف كيف تضحي بنفسها ، وهي على استعداد للقيام بذلك طيلة حياتها . وهي المثال الايجابي بالنسبة للمؤلف وواحدة من اقوى الشخصيات النسائية التي صورها ، وهي تحمل بنور فلسفته المسيحية التي ستتطور فيما بعد في شخصية الامير ميشكين واليوشا كرامازوف على الاخص . اما بالنسبة لراسكولنيكوف فسونيا هي القبس الذي ينير له الطريق ويرى ان لا سبيل امامه الا المسير على هداه ليخلص .

اما المحقق بورفيري بيتروفتش فانه يمثل الى حد بعيد فكرة دستويفسكي ونظرته الى بطله ، وكأن مهمته بالنسبة للكاتب هي ان يجرد راسكولنيكوف من غروره ويفضح ايديولوجيته ، ويظهر ضعفها ، فيحاول اجبار المتهم على ان يعترف شخصيا ، ومن تلقاء نفسه ، لا بالجريمة بقدر ما يهمه ان يعترف بعدم جدواها . واهم ما يثير في شخصيته كمحقق ، هو ايمانه الثابت بالتحليل النفسي وبأن عمل المحقق « شيء فني بحد ذاته » وهو لا يؤثر على راسكولنيكوف بابحاثه فقط ، بل وبحذاقة لعبته ، وبتأثيره الخلقي في حوارهما الاخير خاصة . كما ان نظرته الى متهميه تحمل كثيرا من المشاركة ، بل والعاطفة الصادقة .. نظرته الى ميكولا مثلا تؤكد ذلك . وهذه الناحية بالذات كانت شديدة الاهمية بالنسبة لدستويفسكي في نظرته الى المحقق الجنائي .

واخيرا فان نيكولاي ديمينتسيف ، الفلاح المتهم بجريمة القتل التي ارتكبها راسكولنيكوف ، يقف بقوة الروح « وطفل صغير راشد » وهو ـ وهذا هو الاهم ـ مستعد لحمل صليبه واستقبال الالام ، وحتى الانتحار او المضي الى الموت او الاشغال الشاقة بشكل مسيحي مسالم .

ونلمح في شخصية رازوميخين صورة سريعة للانسان المكافح المؤمن بالمستقبل . اما ليبيزيا تفيكوف ، فان دستويفسكي يرسم في صورانه واحكامه صورة كاريكاتورية للفئات الثورية التي عاصرت الاديب . ولقد نجح الى حد كبير في التشهير بسطحية افكاره التي كانت ، بعكس ما يتصوره دستويفسكي ، بعيدة كل البعد عن افكار اولئك الذين شاركهم دستويفسكي افكارهم فجر شبابه ، فكادت مرة ان تودي بحياته .

ـ ٥ ـ

سببان ام سبب واحد للجريمة ؟

في الجزء الرابع من القسم الاول « للجريمة والعقاب » يغرق راسكولنيكوف في افكاره هذه بعد ان يتسنى له انقاذ الفتاة المخمورة من ذلك السيد المترهل الذي كان يلاحقها :

« ستفيق ، وستبكي ، ثم تعرف امها .. فتضربها بادىء الامر ثم تسوطها ، بشكل مؤلم ومعيب . بل قد تضربها ... فاذا لم تفعل ذلك احست مثيلات داريا فرانتسيفنا بالامر ، وتبدأ الفتاة الصغيرة بالتنقل هنا وهناك ... ثم تأتي المستشفى بعد ذلك (هذا ما يحدث دائما لاولئك اللاتي يعشن طاهرات عند امهاتهن ويتخطرن خفية عنهن) ، وهناك .. وهناك المستشفى من جديد ، فالخمر فالحانات ... فالمستشفى ... فو ! فليكن ! يقولون ان هذا هو المفروض ، مثل هذه النسبة كما يقولون يجب ان تمضي كل سنة ... الى ... لعلها الى الشيطان ، وذلك بغية ان يحتفظ الاخرون براحتهم وهدوئهم . نسبة ! حقا . ان مثل هذه الكلمات عظيمة لديهم : فهي مهدئة تماما وعملية . فاذا ما قيل : نسبة ، لم تعد ضرورة لان نقلق . ماذا لو ان دونشكا وقعت في هذه النسبة ! اذا لم يكن في هذه النسبة ففي تلك ... »

هذا المقطع الصغير يلقي ضوءا على اهم المنابع الاجتماعية لجريمة البطل .

فهذه النسبة الرهيبة تقض مضجع راسكولنيكوف ، ويرى نفسه شخصيا ، الى جانب امه واخته واسرة مارميلادوف من ضحاياها . يقدم الكاتب عرضا مفصلا لكل تحركاته ولظروفه المادية العسيرة ، ولاحاسيس

ـ التتمة على الصفحة ٧٤ ـ

الجريمة والعقاب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١١ ـ

الجوع والعري التي ترهقه . ويشركنا عالمه الثقيل المطبق الظلال حيث ينتظره الجوع والتشرد بعد فصله من الجامعة وحيث يرى امه الحبيبة تتذوق مرارة ايامها صريعة الفقر وحيث تتقدم اخته راضية لتكون واحدة من هذه النسبة ، لتبيع نفسها ، وان كان تحت طابع شرعي ، الى انسان ابعد اهدافه في الحياة هو ان يتزوج من فتاة رقيقة الحال ليضمن لنفسه السيطرة العاطفية عليها بعد ضمانة السيطرة الاقتصادية ، وكل هذا من اجل ان تتمكن اخته من مساعدته ولو بالنزر القليل . ان البطل يرى اخته تسير حثيثة الخطى لتضمها هذه النسبة التي يجب ان تتحطم من اجل هناء الاخرين . ويكاد اسراعه للوقوف في سبيل ذلك يعطي الجريمة توقيتها الزمني . ثم يدخل بنا الكاتب عالم مارميلادوف ويضعنا امام اسرة كاملة لا مورد لها في الحياة الا جريمة يشترك في تنفيذها المجتمع بأسره وهو راض ومستقر ، ذلك ان سونيا دخلت هذه النسبة الفاجعة وراحت ببيعها نفسها تطعم الافواه الجائعة لاسرة كاملة . كل هذا ومخيلة البطل لا تفارقها صورة المرابية العجوز المهترئة ذات العنق « الشبيهة بساق الدجاجة » والتي تكنز مالا سيذهب لاحد الاديرة بعد موتها ، مالا تستعبد حتى اختها المسكينة في سبيل جمعه . والمجتمع يرى كل هذا في طبيعة الاشياء .

يقول بيساريف ، ناقد مجلة « ديلا » في مقالته « الصراع من اجل الحياة » ، وذلك في عدد أيار سنة ١٨٦٨ ـ « ان السبب الجوهري الاوحد (للجريمة) هو تلك الظروف القاهرة التي لم يكن تحملها بمقدور بطلنا المنهار الاعصاب ، الضيق النفس ، والذي كان اسهل عليه ان يلقي بنفسه مرة واحدة في الهوة على ان يتجرع شهرا بعد شهر ، وربما سنة بعد سنة ، مرارات ذلك الصراع الابكم المنهك المقيت مع كل لون من الوان الحرمان » .

فهل تنتهي جريمة راسكولينكوف عند هذه الاسباب المادية ؟

بالرغم من هذا العرض المسهب للظروف المادية وللاسباب التي دفعت بالبطل الى الجريمة فان دستويفسكي يعتبر كل هذه الاسباب ثانوية الاهمية . ويرى ان جريمة بطله ـ كما قلنا في مقدمة بحثنا ـ وليدة اهتزازه الفكري وذبذبة مفاهيمه ، ووليدة بعض الافكار الغريبة الناقصة .

ونحن نرى ان السبب الذي جعل دستويفسكي يورد نظرية بطله بكل هذا الاسهاب هو رغبته القاهرة بدحضها .

فجريمة راسكولينكوف ليست جريمة انسان فقير فحسب ، بل ، وقبل كل شيء ، جريمة انسان ابتعد عن الله . لقد قام بفعلته لان فكرة وليدة الالحاد والفوضى الفكرية قد استعبدته ، فكرة وجدت طريقها الى احدى المجلات على يده ، ثم اراد ان يخرجها الى حيز التنفيذ العملي . الفكرة تقول ان فئة من المتفوقين تنطلق في مجتمع من المجتمعات في الوقت الذي يحني بقية سواد المجتمع رأسه للوضع الراهن دون تفكير او مقاومة .

ومن العدل ان نشير هنا الى ان راسكولينكوف في حله لظاهرة الامتياز هذه ، واستعراضه لاصحابها ، لم تخطر على مخيلته صور اصحاب الفتوحات الحربية او القادة ، بقدر ما اجتذبته صور اصحاب الفتوحات العلمية والفكرية . فلم يذكر من اسماء القادة الا اسم نابليون بينما اشار الى النبي محمد ونيوتن وكيبلر وليكروج وسولون ، وحتى اسم نابليون ورد لديه لا بدوره الحربي بل بدوره كناشر لافكار الثورة الفرنسية الجديدة . من هذا نرى ان فكرة البطل كانت التضحية في سبيل اهداف انسانية شاملة لا اهداف شخصية ضيقة .

يرى راسكولينكوف اذن ان فئة المتفوقين هذه تلعن من قبل معاصريها ليباركها الاحفاد . وهي ذات حق في ان تسفك الدماء من أجل غاياتها النبيلة وان تنحي من يقف في طريقها . وما السواد الاعظم في نهاية الامر الا قطيع ذليل يخضع دائما للاقوى ويبحث ابدا عن القائد وعن النموذج . ان راسكولنيكوف لا يفكر فيما يدفع هذا السواد الاعظم على الخنوع ، فخنوعه فقط يكفي ان يعطي البطل الحق لكي يرتفع فوقه ويقترف ما يراه من جرائم ما دام الاخرون صامتين . يصل البطل بعد اقتناعه بفكرته الى مرحلة اخراجها الى حيز التنفيذ ويضع امام نفسه معادلة رهيبة : هل انا انسان متفوق حقا ام انني تافه ؟ ولم يكن امامه الا القيام بالتجربة ليجيب على السؤال . ويقف دستويفسكي عند هذا ليدحض بفلسفته المسيحية هذه النظرية : ذلك ان روايته كلها ما هي الا برهان فني على الافلاس العملي والنظري لهذه الفكرة ـ فكرة احقية المتفوق في فرض اخلاق جديدة على العالم فيسير ببطله خطوة فخطوة يجعله يقتنع بكذب وتهافت نظريته ، ويبرهن له ان الشخصية مهما سمت وتفوقت فليست بقادرة على تخطي الاعراف الموضوعة وانها اذا ما فعلت ذلك فلن تجني الا هلاكها الجسدي والفكري . فالتجربة التي قام بها راسكولنيكوف عادت عليه بنتائج مغايرة تماما لما كان يتوقعه . اذ ان مصرع المرابية لا يعجز فقط عن تأكيد نظرة البطل الى نفسه والى شخصية الانسان المتفوق بل ويجر وراءه الافلاس التراجيدي لجميع الاسس الفلسفية والاخلاقية التي اوصلت البطل الى جريمته ، اذ يستنتج راسكولنيكوف من خلال تجربته الشخصية ومن خلال امثلة تقدمها له ملاحظاته حول غيره من الشخصيات كلوجين وسفيدريجايلوف وسونيا مارميلادوف ان اعراف « الانسان المتفوق » التي كانت تتمثل له قبل الجريمة انتفاضة ابية ضد كل نظام الحياة المحيط ، لا تختلف بشيء عن الاعراف اللاانسانية التي كثيرا ما ينادي بها ويطبقها اناس من الطبقات الرفيعة في المجتمع ممن يعتبرون ان الجريمة والاغتصاب والسرقة من ابسط قوانين الحياة . اما اصحاب المبادىء الاخلاقية السامية والجمال الروحي الصادق ، فانهم يظهرون امام البطل بعد جريمته ، لا في وجوه اولئك الذين يحاولون الارتفاع فوق البشر ، بل في اولئك البسطاء الذين يحتفظون في اعماق انفسهم بايمانهم بالحياة ، وبالانسان على الرغم مما يقاسونه من اذلال على ايدي ظالميهم وبرغم قسوة الظروف المحيطة وانعدام العدالة في المجتمع، وبرغم كونهم ضحايا مضطهدة فانهم يظلون على ثباتهم الخلقي ويحتفظون بالكره الشديد للاغتصاب وللشر وللجريمة .

قبل الجريمة كان راسكولنيكوف يحسب انه احكم خطته حتى النهاية وصمم جميع تفاصيل جريمته وامكانياتها . لكن الحياة الدفاقة بدت له اكثر تعقدا وغنى من اية افكار عادية ساذجة لمثل هذا البطل المغرور الفرد . فبدل ان يقتل العجوز لوحدها ، يضطر لسبب عابر ان يقتل اختها التي كانت عائدة الى المنزل ، ولسبب عابر كذلك يطلب الى مركز البوليس حيث يجذب اليه انظار الشك وحيث يبدأ صراعه المرهق المقيت مع المحقق بورفيري بيتروفتش ويحاول تضليله (كما يبدو له) لكنه لا ينجح الا في الصاق التهمة بنفسه اكثر فاكثر .

لقد اخفق راسكولنيكوف لا في ظنه فقط ان الانسان قادر على التفكير والاحتياط لجميع ملابسات الجريمة وانه لن يذوق اي عقاب ، بل واخطأ كذلك في ظنه ان الجريمة لن تؤثر على علاقته بالاخرين ، اذ كان يحسب ان حكم الاخرين لن يهمه ابدا ، لكنه اكتشف ان الانسان ليس وحيدا في العالم فقد بدأ يحس بعد الجريمة باحساس « الانفلاق والانفصال عن الانسانية » وغدا اقرب الناس اليه ـ امه واخته ـ بعيدا عنه الى حد لا نهاية له . لقد بدد راسكولنيكوف بجريمته علاقته بالاخرين اذ وضع نفسه فوق قوانين التعايش البشري . كان يفكر بقتل عجوز مقيتة « فقتل نفسه » بدلا منها كما يعبر في حديث له مع سونيا مارميلادوف ، تلك التاعسة الذليلة التي تجتذب المجرم بسموها الروحي، فيجد لديها استجابة الآلامه . وهي التي تنصحه بتسليم نفسه بعد صراع روحي طويل ومحاولات طائلة للتبرير ، وبعد ان تثقله فظاعة وضعه فلا يرى لنفسه مخرجا .

ويخلص راسكولنيكوف بالرغم من فظاعة جريمته .

يخلص لان جذوة الايمان لم تنطفىء في داخله حتى في اشد لحظات صراعه النفسي حلكة . اما ستيدريجايلوف فقد انتهت سلسلة جرائمه بانتحاره . وتكاد هاتان الحقيقتان تلخصان كل فلسفة دستويفسكي المسيحية : فاذا كان راسكولنيكوف قد خلص حقا فلان شعلة الخير والايمان في نفسه قد امتدت واضاءت ولانه احس بقيمة هذا الايمان الذي احتل كيانه ففضل حياة الاشغال الشاقة في سجن سيبيري على الحياة رازحا تحت ثقل عذابه النفسي المرير . أما سفيدريجايلوف فقد كان انتحاره نتيجة منطقية لذلك التطواف الطويل في عالم الاثام والجرائم والضمير المظلم الميت ! لقد انتحر لانه احس انه ميت منذ زمن طويل حتى ان موته الجسدي لم يكن الا امتدادا لذلك الموت الروحي الذي ظل طويلا يعانيه .

ان فقدان الايمان بالله يقود الى كل ما هو غير انساني برأي دستويفسكي . ولذلك لم يكن الكاتب يقبل بفكرة عدم وجوده . فهو في رواية « الابالسة » يقول على لسان شاتوف ـ بطله الايجابي الوحيد في الرواية : « اذا لم يكن الله موجودا فان علينا ان نوجده » لان وجوده اساس للوجود البشري وللانسانية . فالمرء على استعداد لارتكاب احط الجرائم عند فقد ايمانه ... هذه الفكرة تتردد في روايات الاديب وفي مذكراته ورسائله بدءا من « مذكرات من تحت الارض » وحتى « الاخوة كرامازوف » . لقد فقد ستافروجين بطل « الابالسة » كل ما يصله بالانسانية . وما مذكراته ـ التي يمنع طبعها في كثير من البلدان حتى الان لشناعة ما يرتكب فيها من جرائم ـ الا صورة مذهلة ومحيرة لما يمكن ان يقترفه ، بل وما يسعى الى اقترافه انسان فقد الله ، وقد كانت جريمة راسكولنيكوف اول حلقه في سلسلة جرائم اولئك الذين فقدوا الله . ففقدانه برأي الاديب يقود الى الغرور ، ولا بد لمن ينكر الله ان يضع نفسه مكانه ـ هذا ما يجعل كيريلوف الملحد ينتحر ليؤكد لنفسه انه هو الله ، وليضع حدا لهذا السؤال ـ والغرور يصل بالانسان الى الانانية المفرطة ، والتي لا بد وان تتضخم وتسيطر فتجعل الانسان يعطي لنفسه الحق ان يقتل ويحطم ، وهذا كله يخلق الافكار السوبرمانية التي تقود ببساطة الى القتل . ولقد حارب دستويفسكي ظاهرة الغرور هذه ولعن بطله عندما قتل . ولعل نيتشه لم يفهم ذلك عندما كان يعتمد دستويفسكي اباه الروحي قاصدا بذلك ابطاله امثال راسكولنيكوف وبطل « مذكرات من تحت الارض » . لقد اخذ نيتشه ناحية واحدة من الامر ـ نظرية الفردية عند ابطال الاديب ، ونظرية الـ Superman ـ وجعل هذه الظاهرة منطلقا لفكرة الانسان المتفوق فشاد منها صرح فلسفته المعروفة القائمة على تضخيم الفردية والارتفاع بالانسان المتفوق فوق البشر ، واباحة دم الضعفاء وسحقهم ليرتفع هذا الانسان ويسمو. ولم يدرك الفيلسوف الالماني ان دستويفسكي كان يرى في هذه الظاهرة الفردية مصدرا لانكر الامور ـ للجريمة ، للوقوف في وجه الله،ولتحدي وصاياه وللتمرد على الانسانية .

ـ ٦ ـ

لقد بلغ من قوة دستويفسكي في عرض فكرة بطله ونظريته ان من القراء من يعتبرها فكرة الاديب نفسه . لكن دستويفسكي ـ على عكس ذلك ـ اراد العودة بنا الى الانجيل ، والى المثل العليا المسيحية السامية ، لكن هذه الفكرة ـ على سموها ـ تصدم القارىء بنوع من خيبة الامل . فالحل الديني السماوي للمشكلة اضعف بكثير من العرض « الارضي » الواقعي لها . ووصية « لا تقتل » ، والتي وردت في نهاية الرواية لم تفتح الطريق امام راسكولنيكوف ليجد لقمة العيش ، ولا هي حالت دون تضحية اختها بنفسها ، كما انها لم تنقذ من تحت عجلات العربة جسد مارميلادوف المحتضر او يكاترينا ايفانوفنا من الموت في الشارع . لقد عجزت هذه الوصية السامية ان ترد على ما قدمه دستويفسكي بشكل ابلغ بكثير ، على هذه الاوضاع الشاذة في مجتمعه. واعتراف راسكولنيكوف امام الناس وعودته الاخيرة الى الانجيل وترديده لفصل بعث لعازر وتلاوته الانجيل مرات ومرات على النهر السيبيري البعيد حيث يقتدي جريمته بالاشغال الشاقة ، كل هذا لم يقدم حلا لالاف من امثاله ممن خلفهم وراءه في بطرسبرج يتصورون جوعا ينتظرهم مصير قد يكون اشد حلكة من مصيره .

ان وجود ما يسميه دستويفسكي في «الجريمة والعقاب» بالخاتمة يكاد يسمح لنا بالقول ان الاديب نفسه لم يكن على قناعة تامة من حله الفلسفي لروايته . وكأنه في « خاتمته » هذه يترك امامنا فسحة جديدة للتفكير . فالايبيلوج ـ الخاتمة ـ في هذه الرواية وفي كثير من امثالها يمثل نهايات سريعة وسعيدة في اغلب الاحيان وغير مقنعة . فالنهاية المنطقية لمجرى الاحداث في الرواية واستنادا الى ما يشير اليه دستويفسكي في روايته وفي مذكراته ومخطوطاته المتعلقة بالرواية هو ان معظم الابطال يستمرون على حياتهم السابقة : ان تسير بوليا ـ الاخت الصغرى لسونيا ـ في الطريق الشائك الذي سلكته اختها الكبرى ، وان يتشرد اخوتها وان تواظب سونيا هذه على بيع نفسها لتأمين راحة راسكولنيكوف في منفاه ، وان تموت ام البطل صريعة السل ، وبكلمة واحدة ، ان تستمر الحياة على شناعتها ، كل ذلك مقابل ان نكسب شيئا واحدا وهو الخلاص الروحي للبطل ، وعودته الى الانجيل . لكن ما نشهده في نهاية الرواية يكاد يكون انشودة سعيدة من قبل الكاتب لخلاص بطله : اذ تموت ماريا بيتروفنا سفيدريجايلوفا تاركة لدونيا ـ اخت البطل ـ ثلاثة الاف روبل ويتقدم سفيدريجايلوف فيمنح سونيا ثلاثة الاف روبل من اجل اخوتها الصغار وثلاثة الاف اخرى من اجل سفرها الى سيبيريا مع راسكولنيكوف . ويتقدم رازوميخين من دونيا ونشهد اقترابهما العاطفي ويقترح مشروع للطباعة والنشر ينشأ بنقودها ونقوده ـ (هذه الكمية من المال كان يحلم بها دستويفسكي شخصيا عند افلاس مجلته ، وكان بحاجة الى ثلاثة الاف روبل لتحقيق ذلك ، قدمها سفيدريجايلوف الى بطلته.وينتهي امر دونيا ورازوميخين بالزواج.

ـ ٧ ـ

وبعد !

فان ما يمكن ان نخلص به من هذه الرواية يمكن ان يعطي حكما عاما على انتاج دستويفسكي الفني كله .

كانت واقعية دستويفسكي هي سر قوته وخلوده . اننا نقرأ رواياته اليوم ونعيش عالمه بكل خفقاته وانفعالاته ، وبالرغم من ان مائة عام من الزمن تفصلنا عن ابطال الجريمة والعقاب ، وانهم عاشوا حياة غير حياتنا ، وتنفسوا هواء غير هوائنا فاننا نحس بهم بيننا ، ونعيش قضايانا ومشاكلنا في قضاياهم وحيواتهم . ولعل السر في ذلك ان كلا من هؤلاء الابطال كان نموذجا لعصره يمثل شطرا كاملا من الحياة الروسية المعاصرة، وهو في الوقت ذاته نموذج للانسان الخالد في كل عصر ومكان لان

صدر حديثا

	سعر
١ ـ **اضواء على مسلك التوحيد الدرزية** بقلم الدكتور سامي نسيب مكارم مع مقدمة بقلم معالي الاستاذ كمال بك جنبلاط	٤٠٠
٢ ـ **تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية** بقلم الاستاذ عبده الشمالي	١٢٥٥
٣ ـ **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**	٥٠٠
٤ ـ **ديوان الاعشى**	٥٠٠
٥ ـ **ديوان الفرزدق جزآن**	١٧٥٠
٦ ـ **حكايات لبنانية**	٤٠٠
٧ ـ **البيان** كرم البستاني	٢٢٥

الناشر دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت

دستويفسكي أستطاع ، في رسمه لشخصياته ان يسمو حتى أوسع الافاق الانسانية وذلك لعمق تجربته ولصدقه في رسم العنصر البشري الاصلي في كل من ابطاله ولعرضه الظروف النموذجية الطبيعية لحياة هؤلاء الابطال دون تصنع او افتعال الى جانب صدق وطرافة المواضيع التي يطرقها وشمولها في ميادين الفكر والحياة والنفسية البشرية .

تمثلت وافعية دستويفسكي في قدرته العجيبة على الدخول الى الخفايا العميقة للنفسية الانسانية من جهة ، وعلى رسم ما هو نموذجي ومميز بالنسبة للنفسية الاجتماعية المعاصرة من جهة اخرى ، كما تميزت بشيء من « التنبؤية » ان صح التعبير . فقد أستطاع ادبه ان يعكس ظواهر اجتماعية لم تكن بعد شديدة الوضوح زمن الاديب لكنها اضحت فيما بعد من مميزات العصر . والجريمة واحدة من هذه الظواهر التي كان المجتمع الروسي يخطو لابرازها ، والتي كان دستويفسكي يراها نتيجة لا بد منها لمسير الحياة المعاصرة وتطورها .

لكن ما وضعه دستويفسكي من حل للامور في مؤلفاته هو ما يمثل سر ضعفه . فالحل الديني الميتافيزيكي لمشاكل عصره المعقدة ومحاولاته اليائسة ان يعود بنا دوما الى الانجيل ، وان يقنعنا بالصفح المسيحي عن ظالمينا وان نصلي من اجل جلادينا ، كان هذا كله صرخة واهية وساذجة في واد يموج بالفوضى والظلم والفساد . وقد يفسر هذا ان ظاهرة الخلط بين النظرات التقدمية وحتى الثوريةوبينالنظرات الدينية كانت من الخصائص المميزة لمفكري القرن التاسع عشر في روسيا . وهذا ما نلحظه في تحليل دستويفسكي الواقعي لنفسيات ابطاله ، اذ نراهم ، بالاضافة الى مطامحهم الثورية ، واحلامهم بتقدم روسيا وبالبشرية ، مرهقين ـ والامر نفسه بالنسبة لاكثرهم الحادا ـ تحت فكرة الاله ووجوده ، وعلاقة الانسان الدينية بخالقه وبالاخرين وبرجال الدين ، وتصل هذه المعانيات الدينية احيانا بعمقها وصدقها درجة تضع المسيحية نفسها ـ مسيحية دستويفسكي وانجيله ـ في موقف حرج بل وسافر . فاليوشا كرامازوف ـ المسيح المكمل لما جاءت به تعاليم الامير ميشكين في رواية « الابله » يأمر بالقتل ! وذلك عندما يقنعه اخوه ايفان بلا مندوحة ذلك . كما ان لوحة عذاب الاطفال ، والتي يعرضها ايفان كرامازوف هذا تظل القضية الانسانية الخالدة التي يعجز عن الاجابة عليها اي دين او ضمير بشري !

لقد خرج دستويفسكي بنتيجة نعتبرها في ميزان فلسفتنا الحديثة خاطئة وهي ان الشرور والاثام امور خالدة لا مفر منها في حياتنا ، وان الجريمة والدعارة والسفول مظاهر لا غنى عنها في حياة الروح الانسانية الابدية . وآمن بالازدواجية الخالدة للنفس البشرية ، بان حياة الانسان نتيجة لصراع بين قوى الخير والشر . ولذلك لم يكن دستويفسكي يؤمن بأي حل اجتماعي لقضايا عصره فاكتفى بالحل الديني فقط وهو ان انتزاع الشر من نفس الانسان ضمانة كافية للسعادة البشرية .

كان المحيط الاجتماعي الذي عاشه دستويفسكي منبعا لنظرته هذه الى الحياة ، ولم يكن لذلك العصر الذي عاشت فيه روسيا افجع فترة من تاريخها أن ينال من ايمان دستويفسكي بالانسان وبالمستقبل البشري. لقد ظل ، خلال نضاله الطويل في الحياة محتفظا بهذا الايمان العميق وبان منبع الفضيلة في الانسان ازلي الخلود . ولذلك كان كل انتاجه الفني محاولة عميقة ومخلصة لان يسمو بهذه الطبيعة البشرية ويرتفع بالانسان . كما كانت حياته كلها بحثا عن الحقيقة ونضالا من اجلها .

اللاذقية — **عماد حاتم**

المراجع الرئيسية للبحث

ف.م. دستويفسكي . المؤلفات . الاجزاء ١ ـ ١٠ موسكو ١٩٥٨
دستويفسكي . الرسائل . الاجزاء ١ ـ ٤ موسكو ١٩٢٨ ـ ١٩٥٩
ل. جروسمان . دستويفسكي . موسكو ١٩٦٢
ج.م. فريدلندر . واقعية دستويفسكي . موسكو . ١٩٦٤

أشهر العشاق في التاريخ

● **ايلوئيز** التي دخلت الدير يأسا وانقطعت عن العالم، وابيلار الذي شوه نفسه ، وقضى على رجولته ليظل امينا على عهدها .

● **باغانيني** الذي فتن النساء فعفرن كراماتهن على قدميه .

● **بودلير** ، الشاعر الفرنسي الشهير الذي تدله باغرب انواع الجمال الطاغي .

● **ميسالين** ، الامبراطورة الوثنية التي رفعت الفجور الى مستوى الطقوس الدينية ، وملأت قصورها عهرا واباحية .

● **الليدي هاملتن** ، رسولة الحب ، والامبراطورة كاترين الروسية التي شابت وما تابت ، فجعلت من سلطانها المطلق اداة اغراء .

● **نابوليون بونابرت** ، الذي ما تفرغ من المعارك الا ليخوض المغامرات الغرامية .

● **اللورد بيرون** ، الذي احب نفسه ، وبذل نفسه في سبيل استقلال اليونان .

● **بولين بورغيز** ، الجامحة الشهوات ، المتنقلة بين احضان الرجال .

● **ادغار بو** ، الذي اقطع المرأة شطرا كبيرا في حياته .

● **فاغنر** ، الذي اعتبر المرأة ملهمة ضرورية لكل عبقري .

● **المركيزة دي بومبادور** ، فاتنة الملك الفرنسي لويس الخامس عشر .

● **نابوليون الثالث** ، الذي اقترن باجمل امراة في عصره ، وما وجد متعته الكبرى الا في احضان الجانحات .

سلسلة من روايات الغرام التاريخي الحافل بالمفاجآت ، والمغامرات ، والطرائف ، تجد فيها ارق العواطف ، واغرب الحوادث ، وعبرا من الامانة والخيانة ، والبذل حتى الموت ، والتضحية حتى الفداء ، فضلا عن وضعها في قوالب من اللغة السليمة ، والادب الرفيع ، السلس ، السهل المأخذ ، على ايدي نخبة من كبار الادباء .

اطلبها من **((دار المكشوف))**
بيروت ـ ص.ب ٥٨١